

مرجعية القراءات في الجزائر

بقلم الأستاذ: نور الدين محمدي



السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

إنّ الحديث عن المرجعية في القراءات ليس حديثاً مبتدعاً، وإنما هو من صميم انشغالات الأمة، وقد يعده البعض موضوعاً حساساً محرجاً، ويعده آخرون موضوعاً سابقاً لأوانه. وقد يتجرأ البعض ممن يستصغر شأن الآخرين فيقول: إن الوقت لا يزال مبكراً على الجزائر لتتكلم على المرجعية في القراءات.

وكلّ هؤلاء وأولئك مائلون عن الحق، بعيدون عن الصواب، جاهلون لتاريخ الجزائر في ميدان الإقراء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

السيد معالي وزير الشؤون الدينية «حفظه الله ورعاه».

السيد مدير التكوين وتحسين المستوى.

السيد مدير المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية المتخصص في القراءات بالجزائر.

أساتذتي الأفاضل، السادة الأئمة، أخوة الحضور:

عثمان بن عفان رضي الله عنه في
السند البصري والشامي والكوفي.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه
في السند البصري والكوفي.

أبي بن كعب في السند المدني
والمكي والبصري والكوفي.

زيد بن ثابت في السند المدني
والمكي والبصري والكوفي.

أبو موسى الأشعري في السند
البصري.

أبو الدرداء في السند الشامي.

وقد أخذ عن هؤلاء أربعة من
الصحابة وهم:

أبو هريرة في السند المدني
والمبصري.

عبد الله بن عباس في كل الأسانيد ما
عدا السند الشامي.

عبد الله بن السائب في السند المكي
والبصري.

الحسن بن علي في السند الكوفي.
فهؤلاء هم المرجعيات الهامة في الأمة

وشجاعتها في المحافظة عليه.

لقد كانت المرجعية في القرآن
الكريم أمراً لا يسأل عنه، لأنها ضرورة
نشأت مع نشأة أمة الإسلام عند نزول
القرآن وبعده.

ويوم كان القرآن ينزل كان رسول الله
ﷺ المرجع في تعلمه وأخذه
وتدريته والمرجع عند الاختلاف الذي
كان يقع بين أصحابه في وجوه القراءة،
ولم تدارسه والمرجع عند الاختلاف
الذي كان يقع بين أصحابه في وجود
القراءة، ولم تتوقف هذه المرجعية
بوفاته ﷺ بل اتسعت دائرتها
لتشمل الحفاظ من الصحابة الذين
خصهم رسول الله ﷺ بالعرضة
الأخيرة وحدد أسماء بعضهم، لتكون
لهم صدارة الإقراء من بعده ولتتخذهم
الأمة مرجعاً في القراءة والإقراء وهم
ثمانية من كبار الصحابة يتصدرون
أسانيد القراءات المتواترة وهم:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في السند المدني والمكي والبصري
والكوفي.

قبولهم قراءتهم ثم تواتر الأخذ عنهم وصح سندهم في قراءتهم إلى النبي ﷺ.

قمن مرجعيات المدينة عبد الرحمن بن هرمز، أبو جعفر يزيد بن القعقاع، زيد بن أسلم، شيبه بن نصاح ونافع بن أبي رويم الذي انتهت إليه مرجعية القراءة والإقراء بالمدينة.

ومن مرجعيات مكة والبيت الحرام عبد الله بن عباس، مجاهد بن جبر، طاووس بن كيسان، عكرمة بن مولى بن عباس وعبد الله بن كثير الذي انتهت إليه مرجعية الإقراء بمكة.

ومن مرجعيات البصرة عامر عبد القيس، أبو العالية، الحسن، نصر بن عاصم، يحيى بن يعمر، ويعقوب الحضرمي، وأبو عمرو بن العلام الذي انتهت إليه مرجعية الإقراء بالبصرة.

ومن مرجعيات الكوفة علقمة بن قيس، سعيد بن جببر، أبو عبد الرحمن السلمي ثم انتهت مرجعية الإقراء بالكوفة إلى ثلاثة من القراء هم عاصم

على رأس السند في القراءات بعد رسول الله ﷺ.

وقد تفرق هؤلاء الصحابة في الأمصار، فكان في المدينة عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، وكان في مكة عبد الله بن عباس، وفي البصرة أبو موسى الأشعري، وفي الكوفة عبد الله بن مسعود، وفي الشام أبو الدراء.

وقد أخذ القراءة عنهم كثير من التابعين وأقرؤوها لغيرهم، وصار لكل بلد قراءة متصلة السند برسول الله ﷺ على وجه متواتر.

فلما جمع عثمان بن عفان القرآن في المصاحف التي أحتوت على الأحرف المنزلة في العرصة الأخيرة أرسل إلى كل بلد مصحفا، ثم صار الناس في تلك الأمصار يقرؤون القرآن بالقراءة التي أخذوها عن الصحابة بما يوافق خط المصحف المرسل إليهم، فنشأت حينذاك القراءات في الأمصار، وأصبح لكل بلد مرجعيته في القراءة والإقراء من أئمة القراءة الذين أجمعت على

قارئاً، ثم أبو جعفر الطبري ت (310)،
جمع في كتابه ما بين عشرين إلى
ثلاثين قراءة.

ولم يكن هذا الجمع - رغم ضرورته
والحاجة إليه - قادراً على تجسيد
مبادئ هذا العلم، لأن تلك القراءات
كانت مما يقرأ به عند الخاصة فلم
يقدم هذا الجمع شيئاً جديداً، ولذلك
فإن هذه المؤلفات لم يكتب لها البقاء
لسببين:

الأول: أنها أحتوت على قراءات
كثيرة بصعب تعلمها إلا بعد زمن
طويل جداً، مع ما تحتويه من قراءات
لم تتواتر، وإن كانت صحيحة، أو لم
توافق خط المصحف، وإن صحت
وتواترت.

الثاني: أنها لم تلق اهتماماً من الأمة،
كما حصل للمؤلفات التي جاءت
بعدها، والتي وضعت شروطاً لقبول
القراءات أفقدت هذه المؤلفات قيمتها.

المرحلة الثانية « مرحلة الانتقاء »:

ثم أخذ التأليف طابع الانتقاء،

ثم حمزة ثم الكساني.

ومن مرجعيات الشام خليل بن
سعيد وعبد الله بن عامر اليحصبي الذي
انتهت إليه مرجعية الإقراء بالشام كله.

فلما اتسعت دائرة التلقي بعد هؤلاء،
وكثر الروايات وتعددت الطرق
وتعسر الضبط، كانت الحاجة ملحة
على المرجعيات الموجودة في ذلك
العصر لجمع القراءات وتدوينها، فظهر
أسلوب التأليف الذي كان يساير الإقراء
المتواصل في منتصف القرن الثالث من
الهجرة.

إلا أن هذا التأليف مر بمراحل أربعة
أتمت عقدة وأكملت فصوله ووضعت
قواعده ورتبت أصوله وفرشه.

المرحلة الأولى « مرحلة الجمع » :

أخذ التأليف في القراءات أول ما
بدأ طابع الجمع، فكان أول من جمع
القراءات هو أبو عبد القاسم بن سلام
ت (224)، جمع في كتابه قراءة خمسة
وعشرين قارئاً، ثم إسماعيل القاضي
ت (282) كتاب جمع فيه قراءة عشرين

الست».

المرحلة الثالثة «مرحلة التحقيق»:

بدأت هذه المرحلة من بعد عصر ابن مجاهد وانتهت بشكل نسبي عند ابن الجزري ت (833هـ). وتعتبر مرحلة تحقيق ودراسة استقرائية دقيقة، خدمت هذا العلم وصانت القراءات القرآنية من الوضع والضعف، ولم تقتصر على القراء السبعة فقط، بل أخرجت من بطون الأسانيد ما بقي من قراءات متواترة لم يذكرها ابن مجاهد وهي القراءات الثلاث المتممة للعشرة (قراءة أبي جعفر يعقوب وخلف).

ووضعت قراءات أخرى في حكم الشاذ الذي لا يقرأ به، واستطاعت المرجعيات المتلاحقة من بعد عصر ابن مجاهد إلى ما بعد عصر ابن الجزري أن تقدم للأئمة مؤلفات في غاية التحقيق والتدقيق، نذكرها حسب تسلسلها الزمني:

كتاب السبعة بعلمها الكبير للأنصاري ت(351هـ).

وتحتم على المرجعيات في القرن الرابع الهجري أن تنتقي القراءات وفق منهج علمي دقيق، واستقراء شامل لقراءات الأمصار، فكان أول من فعل ذلك أبو بكر بن مجاهد ت (324)، من خلال كتابه «السبعة» الذي كان تطوراً عظيماً في تاريخ التأليف لهذا العلم، حيث أخذ على نفسه ألا يروي إلا عمن عرف بالضبط، والإتقان، والأمانة والتقوى مع ملازمة الإقراء، ووقوع الإجماع من الأمة على الأخذ منه، والتلقي عنه. فأدى به منهجه الذي سار عليه إلى قراءات سبعة من الأئمة توفرت فيهم الشروط وشهدت الأمة لهم بالقبول وهم (نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة والكسائي).

ثم تتابع التأليف بعد ابن مجاهد على منوال كتابه «السبعة»، حيث ألف ابن غليون الحلبي ت (399) كتاب «التذكرة في القراءات الثمان»، وعبد الله بن علي المعروف بسيط الخياط ت (541) كتاب الكفاية في القراءات

- كتاب السبعة بعلمها الكبير للقطار ت (362).
- الجزري.
- الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية لابن الجزري أيضا.
- شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية للنويري ت (897هـ).
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنات (1117هـ).
- شرح السمودي على الدرة للسمودي ت (1199هـ).
- المرحلة الرابعة «مرحلة التحريرات»:**
- بدأت هذه المهمة الصعبة بعد نشأة مرحلة التحقيق بحوالي مائة عام، وبعد مكّي بن أبي طالب القيسي، وأبو عمرو الداني من رواد هذه المرحلة، حيث تصدّ العلماء لتفحيح القراءات من أخطاء التركيب، والضرب الحسابي، وذلك بتمييز كل رواية بطرقها الصحيحة، وبيان الأوجه الجائزة والواجبة والممنوعة لكل قراءة ورواية وطريق، حتّى لا تختلط أوجه رواية بأوجه رواية أخرى.
- ومن المؤلفات التي تعد مرجعا هاما للنشر في القراءات العشر لابن
- كتاب السبعة بعلمها الكبير للقطار أيضا.
- كتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالوية ت (370هـ).
- كتاب الحجة في علل القراءات السبع للفارسي ت (377هـ).
- كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات لابن جني ت (392هـ).
- كتاب التيسير في القراءات السبع للداني ت (444هـ).
- كتاب التلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر الطبري ت (478هـ).
- حز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع للشاطبي ت (548هـ).
- إبراز النعماني من حزر الأمانى لأبي شامة ت (665هـ).
- تحرير التيسير لابن الجزري ت (832هـ).

- في هذا الباب:
- الإبانة لمكي بن أبي طالب.
 - النشر لابن الجزري.
 - إبراز المعاني لأبي شامة.
 - الإتحاف للبنا.
 - إيضاح الدلالات للشيخ المتولي.
 - تحرير طيبة للنشر للسيد هاشم.
 - تحرير النشر للأزميري.
 - سراج القارئ للقاصح البغدادي.
 - حل المشكلات وتوضيح
 - التحريرات للخليجي.
 - شرح تنقيح التحرير للشيخ عامر
 - السيد عثمان.
 - مصل - سيروم

